



أثر الفضاءات الجغرافية
في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة

م. د. علي قيس حمزة

كلية الآداب/ جامعة بابل

م. د. دنيا فاضل طالب

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

**The Influence of Geographical Spaces
on the Formation of Ancient Arabic Critical Judgments**

Lecturer. Dr. Ali Qays Hamzah

College of Arts / University of Babylon

art.ali.qias@uobabylon.edu.iq

Lecturer. Dr. Dunya Fadhil Talib

College of Education for the Humanities / University of Babylon

Hum920.dunaa.fadel@uobabylon.edu.iq

المخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الفضاءات الجغرافية في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة، من خلال الكشف عن العلاقة الرابطة أو الصلة بين المكان بوصفه حاضناً ثقافياً ورمزياً وبين الأحكام النقدية التي اعتمدها النقاد العرب في تقييم الشعر العربي، إذ ينطلق هذا البحث من أن الأحكام النقدية العربية لم تكن نتاج الخصائص النصية وحدها أو الذوق الفردي وحده، وإنما تشكّلت في داخل فضاءات جغرافية متباينة، أسهمت في بناء الذائقة النقدية وتوجيه أحكامها.

وقد تضمن البحث محورين رئيسيين، يسبقهما تمهيد وسم بالفضاء الجغرافي بين الامتداد

المفهومي والتوظيف النقدي، أما المحور الأول فجاء بعنوان الفضاء الثقافي وأثره في بناء الذائقة النقدية، في حين كان المحور الثاني بعنوان الفضاء الرمزي وأثره في تشكيل المرجعيات النقدية، وقد خلّص البحث إلى أن الفضاءات الجغرافية كان لها الأثر البارز في تشكّل كثير من الأحكام النقدية العربية القديمة بوصفها أحد العوامل الفاعلة في إنتاج الذوق وصياغته وتوجيه البوصلة النقدية. الكلمات المفتاحية: الفضاء الجغرافي، النقد العربي، الأحكام النقدية، الفضاء الثقافي، الفضاء الرمزي.

Abstract



Keywords: geographical space, Arabic criticism, critical judgements, cultural space, symbolic space.

المقدمة

يقوم هذا البحث على مقارنة أثر الفضاءات الجغرافية في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة، انطلاقاً من أن الفضاء الجغرافي -هنا- لا يُفهم بوصفه مكاناً مادياً محايداً فحسب، بل بوصفه مجالاً حيويًا تتولّد في داخله أنماط ثقافية ورمزية تسهم بشكل فعّال في تشكيل الذائقة النقدية وتوجيه معايير التقويم النقدي، فالأحكام النقدية التي أطلقها النقاد العرب القدامى لم تكن معزولة عن فضاءاتها الجغرافية، بل تشكّلت في ضوء تفاعل الإنسان مع بيئته وما أنتجته من قيم وتصورات ومرجعيات.

وانطلاقاً من هذه الفكرة، يتناول البحث نوعين أو نمطين من الفضاءات الجغرافية، وفي كل فضاء منهما تتدرج فضاءات فرعية لا تقل تأثيراً عن الفضاءات الرئيسية، ففي المحور الأول يدرس البحث أثر الفضاء الثقافي في بناء الذائقة النقدية، وذلك من خلال ثنائية البادية والحاضرة، وما ارتبط بهذه الثنائية من تصورات وأحكام تتعلق بالفصاحة والجزالة والرقّة والطبع والصنعة، أما المحور الثاني فدرس أثر الفضاء الرمزي في تشكيل المرجعيات النقدية، بوصف الفضاء الرمزي مستوى آخر من حضور المكان في الوعي النقدي، إذ أصبحت

This study aims to examine the influence of geographical spaces on the formation of classical Arabic critical judgements, by revealing the relationship or connection between place—as a cultural and symbolic incubator—and the critical judgements adopted by Arab critics in the evaluation of Arabic poetry, This study is based on the premise that Arabic critical judgements were not the product of textual characteristics alone or individual taste alone, but were formed within diverse geographical spaces, which contributed to the construction of critical taste and the direction of its judgements .

The research comprised two main themes, preceded by an introduction entitled ‘Geographical Space: Between Conceptual Extension and Critical Application’. The first theme was entitled ‘Cultural Space and its Impact on the Construction of Critical Taste’, whilst the second was entitled ‘Symbolic Space and its Impact on the Formation of Critical References’. The study concluded that geographical spaces had a significant impact on the formation of many ancient Arabic critical judgements, acting as one of the key factors in the production and shaping of taste and in guiding the critical compass .



المفردات التي تقترب في دلالاتها منها مثل مفردة (المكان) و(المجال) و(الحيز)، ففي نظر عدد من الباحثين إن هذه المفردات تُستعمل بوصفها مترادفات، في حين يرى عدد آخر منهم أنه يمكن التمييز بين هذه المفردات من حيث الدلالة والوظيفة، وقد أفاض عدد كبير من المصادر والدراسات في بيان هذه الإشكالات وتتبع تحولات هذه المفردات ودلالاتها في الحقول المعرفية المختلفة، وهو ما يوفّر على الباحث عناء تتبع هذه الاختلافات والتفصيلات المرتبطة بكل مفردة، والتركيز على مفهوم (الفضاء) بوصفه إطاراً معرفياً جغرافياً يسهم في تفسير تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة، ومع ذلك لا بُدّ من العودة -ولو بشكل موجز- إلى الجذور اللغوية والتعريفات الاصطلاحية لمفهوم (الفضاء)، لبيان الدلالات التي تنطوي عليها هذه المفردة، ولا سيما ما يتصل منها بعلم الجغرافيا، بوصفه الحقل المعرفي الأكثر ارتباطاً بهذا المفهوم وتمثلاته المختلفة.

ورد في المعجمات اللغوية العربية القديمة في مادة (فضا) أن ((الفضاء هو الخالي الفارغ الواسع من الأرض))⁽¹⁾، وأنه ((إذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجرٌ أو خَمَرٌ فهي الفضاء))⁽²⁾، وهناك من ذهب إلى أن صفتي (الفراغ والخلو) اللتين ((يحملهما مصطلح (الفضاء) لا تعنيان عدم احتواء الفضاء على الحدث أو الحركة أو الحياة، وإنما

البادية والقديم والدين في هذا الفضاء مرجعيات رمزية أثّرت في قبول الشعر أو رفضه، وفي تحديد موقعه من الأصالة أو الحداثة.

ولا يسعى هذا البحث إلى رد الأحكام النقدية جميعها ردّاً حتمياً إلى العامل الجغرافي، وإنما يهدف إلى الكشف عن أثر هذا العامل في ضمن شبكة أوسع من المؤثرات والمرجعيات التي تسهم في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة، وبذلك يحاول هذا البحث قراءة النقد العربي القديم من زاوية لم تُدرس -بحسب اطلاع الباحثين- من قبل، إذ تكشف هذه الزاوية أثر الفضاء الجغرافي في تشكيل الوعي النقدي العربي، وفي بناء المعايير النقدية التي أحكام النقاد في أشعار العرب.

التمهيد: الفضاء الجغرافي بين الامتداد المفهومي والتوظيف النقدي

يُعد مفهوم (الفضاء) من المفاهيم الإشكالية التي يصعب على أي باحث إخضاعها لتعريف جامع مانع، وربما يعود السبب في ذلك لاختلاف المنطلقات الفكرية والحقول المعرفية التي أسهمت في تشكيل دلالاته، إذ نجد تعريفات متعددة المشارب والرؤى حول هذا المفهوم بين الفلسفة والأدب والنقد والجغرافيا والفن وغيرها من العلوم والدراسات الثقافية، ويزداد الأمر تعقيداً؛ بسبب التداخل الدلالي بين مفردة (الفضاء) وعدد من



يوجد مفرغاً، فهو يتصل بالذوات ويمتلئ بالتجارب والموضوعات ويحقق قيمه البنيوية والرمزية من خلال التفاعل مع المركبات التي تعطيه حيويته الوجودية ومبررات وجوده الجغرافية⁽⁷⁾، ومن هنا، شكّل الفضاء معياراً لقياس الوعي والعلائق والترانبيات الوجودية والاجتماعية والثقافية، ولا سيما التقاطبات الفضائية التي انتبعت إليها الدراسات الانثربولوجية، والتي تُنبّه إلى نوع من اختراق الفضاء لنا، ولأجسادنا، وأفكارنا، ووجداننا ومعارفنا⁽⁸⁾.

ولبيان طبيعة علاقة الإنسان بالفضاء، يمكن القول إن هذا الفضاء يخترق حياة الإنسان، ويشعر بكيونته أينما حلّ وارتحل، فهو يعيش فيه ومعه، ولا شيء في هذا الكون منفصل عنه ومتحرر منه، ولا وجود لأي كائن من دون فضاء يحويه، بل ليست هناك حياة أصلاً من دون فضاء⁽⁹⁾، إذ إن الإنسان بقدر ما ينظّم الفضاء ينظمه الفضاء، فهو اختراق متبادل، وتفاعل يدخله الإنسان عبر سيرورة تجربته في الوجود وعبر تتابع تشكّل تصوراتهِ وخبراته وتشبيد معرفته، ولذلك يمكن القول إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء، ومن ثم، فإن الفضاء له أثر حيوي في مستوى الفهم والتفسير والقراءة النقدية⁽¹⁰⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن تفاعل الإنسان مع الفضاء لا يكون بدرجة واحدة عند الناس جميعاً،

عدم غلبة الأشياء المادية المحسوسة التي قد يحملها الفضاء⁽³⁾، ومن هنا ارتبطت مفردة (الفضاء) في الأذهان بالفراغ الكوني، فهناك مَنْ عدّ (الفضاء) بوصفه الوعاء الضخم الذي يستوعب في داخله الكون، بما يشتمله من مجرات ونجوم وكواكب، وهذا يعني أن الفضاء لا يزول بوجود المادة ولكنه يمتلئ بها⁽⁴⁾، وبهذا التوصيف أصبحت هذه المفردة تدمج ما بين عنصر المكان على وفق المفهوم الفيزيائي له (أي القابل لكم والقياس) وبين المدلول الفلسفي لهذه الكلمة⁽⁵⁾.

ومع تطور الدراسات الفلسفية والإنسانية اتسع مفهوم (الفضاء) ليكون أكثر اتصالاً بالإنسان نفسه، إذ لم يعد يُنظر إلى هذا المفهوم بوصفه مكاناً محايداً، وإنما أصبح مجالاً للتجربة الإنسانية من خلال التفاعل الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع، وهذا الأمر هو الذي جعل مفهوم (الفضاء) يتجاوز الامتداد الجغرافي إلى آفاق أوسع وأكثر تعقيداً، إذ يرى بعض الباحثين أن الفضاء أعمُّ من المكان؛ لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، إذ إنه يسمح بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمحدد، لمعانقة التخيلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء⁽⁶⁾.

ولهذا، لم يعد (الفضاء) فراغاً خالياً، بل أصبح عنصراً متفاعلاً مع الإنسان ووعيه، فالفضاء لا



التي تُعنى بدراسة العلاقة بين البيئة والمجتمع، وبكيفية تأثر المجتمعات البشرية بالمكان والعوامل البيئية⁽¹⁵⁾.

وهذا التنوع في استعمال المفردات المرتبطة بمفهوم (الفضاء) مثل مفردة المكان والبيئة والمجال والحيز؛ إنما يعود إلى اشتغال هذا المفهوم على دلالات هذه المفردات، لتتصوي جميعها في النهاية تحت مفهوم (الفضاء الجغرافي)، إذ يحيلنا هذا المفهوم من أول وهلة إلى الفضاء الطبيعي المقصود به عند الجغرافيين ((المكان المحدود جغرافياً، وتدركه الحواس ويعتبر مجاًلاً للحركة))⁽¹⁶⁾، فالجغرافيون يستعملون هذا المفهوم لوصف البيئة الاجتماعية والفيزيائية التي تعيش فيها الكائنات الحية، إذ يتضمن كل ما يتعلق بالمواقع والاتجاهات والمسافات والعلاقات بين المجتمعات البشرية والبيئة⁽¹⁷⁾، غير أن القضية لا تتوقف عند هذا الحد من اقتران مفهوم الفضاء الجغرافي بالبيئة الاجتماعية والفيزيائية، وإنما تضمن هذا المفهوم تطور النظرة إلى الفضاء الجغرافي والمعرفة به وتوصيف مكوناته الطبيعية والبشرية، وكيفية الانتظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في داخله⁽¹⁸⁾.

وهذه النظرة التي تقول بتأثير الفضاء الجغرافي في الإنسان تستند إلى مدرستين من مدارس الفلسفة الجغرافية الثلاثة، وأول هذه المدارس هي مدرسة

فالإنسان يقع تحت تأثير هذا الفضاء ويستوعبه انطلاقاً من درجة فهمه، والمرحلة العمرية التي بلغها، فالاستيعاب يختلف من مرحلة إلى أخرى، والإدراك يكون في البداية حسياً وبطريقة مباشرة، بدءاً بإدراك الجسد لتتسع فيما بعد إلى الكون كله، أو يبدأ من الحيز الفردي إلى الحيز الجماعي⁽¹¹⁾، ومن هنا تكون طبيعة العلاقة بين الإنسان والفضاء الذي يحيط به لا تقتصر على الجانب الفيزيائي فحسب، ولهذا فإن مفهوم الفضاء يختلف بين الشعوب والثقافات والحضارات⁽¹²⁾.

وقد أدركت الدراسات الجغرافية - قديمها وحديثها - هذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان والفضاء المحيط به، إذ أصبح علم الجغرافيا لا يدرس الظواهر الطبيعية بعيداً عن الإنسان، وإنما يبحث في العلاقة التي تجمع بينهما، ولهذا وُصفت الجغرافيا بأنها علم العلاقات المكانية؛ ((لأنها لا تهتم بالظواهر لذاتها بل تهتم بالعلاقات القائمة بينها؛ لأن ذلك يمكّن الدارس المكاني من عمل التعميمات، وبناء الفرضيات، ثم التوقعات المفيدة))⁽¹³⁾.

وهذه القضية هي ما أكدت عليه جغرافية السكان بوصفها فرعاً من فروع الجغرافيا البشرية، إذ يدرس هذا الفرع ((العلاقات المتعددة القائمة بين الإنسان وبيئته))⁽¹⁴⁾، وكذلك الجغرافيا الاجتماعية التي تُعد من المجالات الحيوية في العلوم الجغرافية



جغرافي، وثانيهما الإنسان بوصفه عاملاً جغرافياً⁽²⁴⁾.

وبهذا، يتضح أن المدرستين اللتين يستند إليهما هذا البحث هما المدرسة الحتمية والمدرسة المعتدلة، حيث يتجلى تأكيدهما على أثر الفضاء الجغرافي في طبيعة الإنسان وسلوكه وأنماط عيشه ونشاطاته ومعتقداته وأفكاره، على أن المدرسة التوفيقية تبدو أكثر انسجاماً مع فكرة هذا البحث؛ لأن الفضاء الجغرافي هنا لا يُفهم بوصفه عاملاً حتمياً يشكّل الأفكار والرؤى بصورة مباشرة، وإنما بوصفه عنصراً ثقافياً ورمزياً يسهم في تشكيل الذوق والوعي وطرائق التلقي.

ومن هنا، فإن الفضاء الجغرافي يؤثر بشكل لا يمكن إهماله في نشاط الإنسان وثقافته⁽²⁵⁾، فضلاً عن هذا فإن شخصية الإنسان في أي مكان تتداخل بشدة مع فكرة الطوابع القومية⁽²⁶⁾، وعليه، فإن تأثير الفضاء الجغرافي بوصفه نسقاً ثقافياً وحضارياً واجتماعياً لا يتوقف عند توجيه الوعي الجمعي فحسب، وإنما يعيد تشكيل الذوق العام، وقد عُيّنت الجغرافيا الثقافية بهذه القضية، إذ نظرت إلى أشكال اختلاف الجماعات وثقافتهم المادية، والأفكار التي تجمع بينهم وتجعلهم متماسكين، مما يعني أنها لا تنظر إلى كيفية انتشار الثقافات في الفضاء فحسب، بل إلى كيفية فهم هذه الثقافات للفضاء، وتقني أثر الأفكار والممارسات والأشياء

الحتم الجغرافي (المدرسة البيئية)، التي يؤمن أصحابها بتحكّم البيئة بالإنسان وسيطرتها عليه، فالبيئة في هذا التوجه الفكري تؤثر في شكل الإنسان ونمط حياته وسلوكه وأفعاله، فضلاً عن الأنشطة والفعاليات التي يمارسها أو يمتنعها⁽¹⁹⁾، فعناصر البيئة الطبيعية هي التي تتحكم في سلوك الإنسان، وما على الإنسان إلا التكيف مع بيئته⁽²⁰⁾.

وثاني هذه المدارس هي المدرسة الإمكانية (المدرسة الحضارية) التي تعترف ((بوجود قوة الابتكار عند الإنسان وتأثيره في بيئته الطبيعية))⁽²¹⁾، إذ يرى أصحاب هذه المدرسة أن الإنسان هو الذي يؤثر في تشكيل مكونات بيئته، فهو سيدها ويغيرها كما يريد⁽²²⁾، وآخرها المدرسة المعتدلة (التوفيقية) أو (التوافقية) التي يؤمن أصحابها بحريّة الإنسان في اختيار إمكانات البيئة، فهم يؤمنون بأن هذه الإمكانات محدودة بظروف البيئة الجغرافية، وأن الحدود التي تضعها البيئة على إمكانات المكان ومجال اختياره تختلف من مكان لآخر، ومن مدة تاريخية لأخرى، فالعلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة تفاعلية، أي أن كلا منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به⁽²³⁾، إذ إن للإنسان في بيئته جانبين جغرافيين، أولهما الإنسان بوصفه ظاهرة جغرافية في حد ذاته، أي أنه عنصر



التي لا تتسجم مع ذوق هذه المؤسسة، وبذلك اكتسب الأدب الراقي قيمة متعالية جعلت النقد يدور في حدود شرطه الجمالي فقط، واستبعاد ما لا يتفق مع أنظمة التعبير المؤسساتي، فأصبح الناقد واحداً من حُرّاس المؤسسة؛ لأن النقد نفسه سلّم واستسلم لشروط هذه المؤسسة⁽²⁹⁾.

ويشير الجابري فيما يخص التفكير العربي بشكل عام إلى أن العقل العربي تحكمه النظرة المعيارية في النظر إلى الأشياء، إذ يميل في تقييمها على وفق مكانها وموقعها في داخل منظومة القيم الثقافية والاجتماعية السائدة التي يتخذها ذلك العقل مرجعاً ومرتكزاً له، أكثر من عنايته بالكشف عن مكونات تلك الأشياء الذاتية أو خصائصها الجوهرية، وبذلك تصبح الأحكام والمعايير انعكاساً للرؤية التي يفرضها المجتمع والثقافة، وليست نتيجة نظرة موضوعية خالصة⁽³⁰⁾، ما يعني أن الناقد العربي لم يكن يصدر أحكامه انطلاقاً من النص الأدبي نفسه، وإنما كان يتحرك في داخل منظومة ثقافية تشكلت بفعل البيئة والحياة الاجتماعية والتحويلات الحضارية، الأمر الذي يكشف عن أثر الفضاء الجغرافي في تشكيل الوعي النقدي وتوجيهه الدائقة، وبهذا فإن الفضاء الجغرافي في هذا البحث لا يقصد به البعد المكاني المحض، وإنما هو مجموع المقومات الثقافية والاجتماعية والبيئية

التي تشكل الثقافات معاً، ومن ثم تشكل الهويات التي من خلالها يتعرف الناس على أنفسهم وعلى الآخرين⁽²⁷⁾.

مما سبق، يمكن تعريف الفضاء الجغرافي - بشكل عام - بأنه المكان أو البيئة أو الحيز المكاني بما يشتمل عليه من عناصر طبيعية وبشرية كالمواقع والتضاريس والمناخ وأنماط الاستقرار، فضلاً عن الثقافة والمعرفة والتجربة، وما ينشأ عن تفاعل هذه العناصر من منظومات ثقافية ورمزية تؤثر في توجيه التفكير وتشكيل الوعي الإنساني.

وانطلاقاً من هذه النظرة، لم يعد مفهوم (الفضاء الجغرافي) في الدرسين الأدبي والنقدي حبيس الدلالة الجغرافية المكانية الضيقة، فالمتعة التي تتمثل لنا في الأدب مثلاً من وجهة نظر الغذامي ليست مجرد فعل فطري أو محايد، بل إنها أمر نتعلمه، ومن ثم فهي مزيج من عناصر المعرفة وعناصر السلطة، إذ إن هناك أنساقاً منظّمة تتحكم بمتعتنا، ولذا فإننا نستمتع على وفق مقاييس اجتماعية، مثلما نتحفظ على وفق شروط مماثلة دُرِّينا على عدم الانطلاق فيها⁽²⁸⁾، ومن ثم يعود الغذامي ليؤكد أن المؤسسة الثقافية هي التي ترسم حدود ما يُعدُّ أدباً، بحسب ما توارثته من مواصفات بلاغية وجمالية، قديمة وحديثة، وعلى وفق هذه المواصفات يتم فرز النصوص الأدبية وتصنيفها، مما أدى إلى استبعاد كثير من النصوص الأدبية



الترحال بالشجاعة والإقدام وتحمل الصعاب وإكرام الضيف، وأدى اتساع فضاءهم إلى اتساع خيالهم وصفاء ذهنهم، وكذلك أدى اشتغال الإنسان بالزراعة إلى تميزه بصفات الوداعة وحب المسالمة والاستقرار، بينما اشتهر سكان الجبال بالميل إلى الحرية⁽³³⁾.

وبعد كل ما سبق، يمكن دراسة أثر الفضاءات الجغرافية في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة من خلال تقسيمها على محورين، يتناول المحور الأول الفضاء الثقافي وأثره في بناء الذائقة النقدية، في حين يتناول المحور الثاني الفضاء الرمزي وأثره في تشكيل المرجعيات النقدية.

المحور الأول: الفضاء الثقافي وأثره في بناء الذائقة النقدية

إن الحديث عن الفضاء الثقافي لا بد أن يُمهّد بتعريف للثقافة، وإن كان الوصول إلى تعريف جامع مانع ضرب من المستحيل؛ بسبب اختلاف الرؤى وتداخلها في النظر إليها، فمن تعريفاتها أنها «مجموعة مشتركة من المعتقدات والقيم والعادات والسلوكيات والمصنوعات التي يستخدمها أشخاص المجتمع للتكيف مع عالمهم، ويستعملونها فيما يتعلق ببعضهم البعض، والتي تنتقل من جيل إلى جيل»⁽³⁴⁾، وعند قراءة التراث النقدي العربي القديم يتبين للقارئ أن الذائقة النقدية العربية القديمة لم تكن بمعزل عن الفضاء الثقافي الذي عاش في

والحضارية التي أسهمت في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة.

وتتباين الفضاءات الجغرافية تبعاً لاختلاف المقومات الطبيعية والبشرية التي تشكّلها، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى اختلاف أنماط الحياة، والمقصود بنمط الحياة هو «النمط المعيشي الذي يعيش في ظله مجموعة من الأفراد، تربط بينهم علاقات معينة، ويسعون لتحقيق هدف بذاته، وتضمهم بيئة بعينها، تكون ذات هيكل اقتصادي وبناء اجتماعي ونطاق جغرافي»⁽³¹⁾، ومن هذه الفضاءات الجغرافية الفضاء الثقافي والفضاء الرمزي.

ولأجل معرفة أثر الفضاءات الجغرافية في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة، ينطلق هذا البحث من حقيقة مفادها «إن معرفة البيئة الزمانية والمكانية ضرورية لفهم الواقع والأحداث وسلوك الأشخاص وتقدير القيم التي يمثلونها»⁽³²⁾، إذ يؤثر الفضاء الجغرافي في عقلية الإنسان وسلوكه تأثيراً عظيماً، ففي الغابات الاستوائية مثلاً حيث يتوافر الغذاء، لم تتفقق قوى الإنسان العقلية، فما زال عاجزاً عن الابتكار، لا يفكر جدّاً في زراعة الأرض أو رعي الحيوان، فضلاً عن امتلاء مخيلته بالخرافات والاعتقاد بوجود الأرواح والخيالات؛ وذلك لوحشة الغابات وظلامها وأخطارها، أما الرعاة في المراعي المعتدلة والصحراوات الحارة فقد ميّزهم



ولأجل تمييز البيئة الحضرية عن الصحراوية، يمكن تعريف المكان الحضري من وجهة نظر حديثة، بأنه النطاق المكاني المحدود الذي يعيش فيه سكان الحضر، وتتركز فيه الأنشطة الصناعية والتجارية والخدمية، وتتشكل في حدوده المؤسسات والتنظيمات الحضرية المحركة لتلك الأنشطة، والمنظمة لإطار العلاقات فيما بينها، وتتبلور خلال المعيشة فيه أنساق القيم الحضرية التي تتسجم غالباً مع ما تتطلبه تلك المؤسسات⁽³⁷⁾.

ولعل من أهم المفاهيم النقدية التي ترتبط بالفضاء الجغرافي الثقافي هو مفهوم الفصاحة الذي يعني⁽³⁸⁾ (أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكرٍ في استخراجهِ وتأمُلٍ لفهمهِ)⁽³⁸⁾، إذ يرتبط هذا المفهوم ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الفضاء الثقافي الذي يتشكّل في داخله الوعي النقدي، فالنقاد العرب القدامى لم ينظروا إلى الفصاحة بوصفها ظاهرة لغوية مجردة؛ وإنما بوصفها انعكاساً لطبيعة البيئة التي أنتجت اللغة واستعملتها، ولهذا ميّزوا بين فضاءين ثقافيين متباينين هما الفضاء البدوي والفضاء الحضري.

ومن هنا، أكد النقاد العرب أن سلامة اللغة تستند إلى الفضاء الثقافي الذي يُنشئها، إذ يؤكد القاضي الجرجاني (ت 366هـ) ذلك بقوله: «إن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودمائة الكلام بقدر دماثة الخلقة، وأنت تجد ذلك ظاهراً في أهل عصرك

كنفه الإنسان العربي بشكل عام والنقاد على وجه الخصوص، إذ ارتبطت كثير من أحكامهم النقدية بطبيعة البيئة المحيطة وما تفرضه من أنماط معينة في العيش والسلوك والتفكير والتلقي، ولهذا لم يكن اختلاف النقاد في تفضيل الألفاظ أو الدلالات أو الصور أو طرائق التعبير اختلافاً فنياً خالصاً، وإنما كان في جانب منه انعكاساً لاختلاف الفضاءات الجغرافية ولا سيما الفضاءات الثقافية التي تشكّل في داخلها الذوق العربي.

فالفضاء الصحراوي مثلاً، بما يحمله من طبيعة قاسية وظروف معيشية صعبة ومناخ حار جاف جعل من ساكني هذه البيئة من ذوي الطبيعة السلوكية الخشنة⁽³⁵⁾، ما أسهم في بناء فضاء ثقافي أنتج ذائقة لغوية تميل إلى جزالة التراكيب وخشونة الألفاظ وقوة التعبير، في حين أفضى التحضر الذي يقصد به ((عملية التحول إلى حضر))⁽³⁶⁾، والاستقرار في المدن والقرى والاختلاط بالثقافات الأخرى إلى نشوء ذائقة لغوية أخرى أكثر ميلاً إلى السهولة والرقّة والتأنق والعناية بالصياغة، ولهذا لم تكن الأحكام النقدية العربية القديمة منفصلة عن الفضاءات الثقافية التي عرفها المجتمع العربي حينذاك، بل جاءت في كثير من الأحيان تعبيراً عن علاقة الإنسان العربي بفضائه الثقافي، وما أنتجه هذا الفضاء من تصورات خاصة للفصاحة والجمال والجودة الشعرية.



نفسه؛ لأن المتلقي الحضري وتبعًا لتغير نمط الحياة لم يعد يتجاوب مع الألفاظ الوحشية أو التراكيب الخشنة بالطريقة نفسها التي يتجاوب بها المتلقي البدوي.

وبالنظر إلى إدراك النقاد العرب القدامى الخصائص التي تميز الفضاء البدوي عن الفضاء الحضري، اشترط ابن طباطبا (ت 322هـ) على الشاعر أنه ((إذا أسس شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها، وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة))⁽⁴¹⁾، فابن طباطبا قد أدرك أن لغة الشعر تختلف تبعًا للفضاء الثقافي الذي تولدت فيه والذي له أثره في صلابتها ووعورتها حينًا، وفي رقتها ودمائتها حينًا آخر، وفي الجزالة والعبارة القوية مرة، وفي سهولة القول مرة أخرى⁽⁴²⁾.

فمن هذا النص، يتبين أن ابن طباطبا يترك للشاعر حرية اختيار الأداء اللغوي الذي يريد أن يبنى به النص الشعري، ولكن في الوقت نفسه متى ما وقع اختياره على أداء خاص، فعليه أن يلتزم به إلى أن يفرغ منه، ومعنى هذا، أن ابن طباطبا لا يمنع أن تكون كلُّ ألفاظ القصيدة بدوية فصيحة أو تكون حضرية مؤلدة، أو تكون بعيدة صعبة، أو قريبة سهلة، وإنما الذي يمنعه هو الخلط بين الفصيح والحضري من الألفاظ، وكذلك بين البعيد

وأبناء زمانك، وترى الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب؛ حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك؛ ولأجله قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من بدا جفا). ولذلك تجد شعر عدي -وهو جاهلي- أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤية وهما أهلان؛ لملازمة عدي الحاضرة وإيطانه الريف، وبعده عن جلالة البدو وجفاء الأعراب))⁽³⁹⁾، فهذا النص يكشف عن وعي مبكر بالعلاقة التي تجمع بين الفضاء الثقافي وطبيعة اللغة، فالقاضي الجرجاني لا يفسر خشونة الألفاظ تفسيرًا لغويًا مجردًا، وإنما يُرجع السبب إلى طبيعة الحياة البدوية وما تفرضه من خشونة وجفاء في اللغة والسلوك معًا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سلاسة شعر عدي التي اتخذها القاضي مثالًا لتأثر اللغة بالفضاء الجغرافي، إذ يرجعها إلى ملازمة الشاعر للبيئات أو الأماكن الحضرية، وقد أشار القاضي أيضًا إلى هذه القضية في موضع آخر عندما قال: ((فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتطرف، اختار الناس من الكلام أليّنه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعًا، وألطفها من القلب موقعًا))⁽⁴⁰⁾، فمن خلال هذا النص يتبين أن تغيير الفضاء الجغرافي أدى إلى تغيير الذوق اللغوي



للفضاء الثقافي الصحراوي يتقبل اللفظ الخشن، لأنه جزء من بيئته اليومية، في الوقت الذي ينفر منه الحضري الذي تشكّل ذوقه في داخل فضاء أكثر استقراراً ورقّة، ومن هنا فإنّ ((السكان المتعايشين معاً يشعرون مع الزمن بالصيغة التي هم موجودون فيها، وبعلاقاتهم مع البيئة التي يحيون فيها، ومع الشعوب التي تجاورهم، كما يشعرون بصيغة جيرانهم الديموغرافية، ولذلك هياً كل فريق مكانه بين الشعوب الأخرى، ارتبط معهم من جهة وافترق عنهم وتميز من جهة أخرى))⁽⁴⁵⁾.

وبهذا، فإنّ مفهوم الفصاحة في النقد العربي القديم لم يكن ثابتاً أو قائماً على معايير لغوية مجردة، بل ارتبط هذا المفهوم ارتباطاً وثيقاً بطبيعة الفضاء الثقافي الذي تشكّل في داخله، فهو يتغير تبعاً لاختلاف الفضاءات الثقافية، الأمر الذي يجعل تشكّل الأحكام النقدية المتعلقة بهذا المفهوم انعكاساً للعلاقة بين اللغة والبيئة المحيطة بها.

ويتصل بمفهوم الفصاحة مفهوم آخر أخذ حيزاً كبيراً في الموروث النقدي العربي القديم وهو مفهوم ((الطبع والصنعة))؛ فالنقاد العرب القدامى كثيراً ما ربطوا جودة التعبير بالطبع السليم غير المتكلف، إذ ارتبط الطبع في كثير من الأحيان بالبادية؛ لأنها تمثل لهم رمزاً لصفاء اللغة والعفوية والبساطة والابتعاد عن التعقيد، في حين ارتبط التكلف أو الصنعة بالحاضرة، نتيجة تعقّد الحياة الاجتماعية

والقريب، وبين الصعب والسهل، ذلك أن الاختيار الخاص يفرض على الشاعر تحقيق الانسجام بين المفردات والصيغ، ومتابعة التناسب والتلاؤم بينها، لكيلا يجابه المتلقي بعيب التفاوت، وهو الأمر الذي يهدد وحدة الأداء اللغوي التي تعدّ أساس العمل الأدبي⁽⁴³⁾، فالحكم -إذاً- على فصاحة الألفاظ من وجهة نظر ابن طباطبا يستند إلى الفضاء الثقافي الذي تصدر عنه هذه الألفاظ، إذ لا يجوز أن يخلط الشاعر في قصيدة واحدة بين ألفاظ تنتمي لفضاءين مختلفين هما الفضاء الصحراوي والفضاء الحضري، فهذا هو الذي يقلل من قيمة القصيدة ويفقدها تماسكها اللغوي.

ولهذا، نجد من النقاد من يوضح هذه القضية، ويعلل بأن استحسان بعض الألفاظ أو النفور منها قد لا يكون قائماً على بنيتها اللغوية فحسب، بل على طبيعة الفضاء الثقافي الذي يتلقاها، ولهذا رأى المرزباني (ت 384هـ) أن حوشي الكلام كان مجوّزاً ((للقدماء، ليس من أجل أنه حسن؛ لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابياً، قد غلبت عليه العجرفية، وللحاجة أيضاً إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب؛ ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي لم يكن يأتي به على جهة التطلّب له والتكلفّ لما يستعمله منه؛ ولكن لعادته وعلى سجية لفظه، أما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه ما ينافر الطبع، وينبو عن السمع))⁽⁴⁴⁾، فالأعرابي بحكم ألفته



الصنعة، ومن البساطة الصحراوية إلى التعقيد الحضري.

وقد أشار الأمدي (ت 370هـ) إلى هذه القضية على لسان صاحب البحري في معرض الدفاع عنه بقوله: «فشتان ما هما من حضري [يقصد أبا تمام] تشبه بأهل البدو فلم ينفق في البادية ولا عند أكثر الحاضرة، وبدوي [ويقصد البحري] تحضر فنفق في البدو والحضر»⁽⁴⁸⁾، وهو ما يؤكد -أيضاً- القاضي الجرجاني في أثناء حديثه عن سبب اختياره للبحري، إذ يقول: «وإنما أحلتك على البحري؛ لأنه أقرب بنا عهداً، ونحن به أشد أنساً، وكلامه أليق بطباعنا، وأشبه بعاداتنا، وإنما تألف النفس ما جانسها، وتقبل الأقرب فالأقرب إليها»⁽⁴⁹⁾.

ويبدو أن إدراك البحري لطبيعة الفضاء الثقافي الذي يحيط بالحوضر والسعي إلى الاندماج معه هو ما جعله مقبولاً عند كثير من النقاد والمتلقين الحضر. ففي اللحظة التي غادر فيها البحري فضاء البادية إلى فضاء الحاضرة لم يقصد إلى إدخال ألفاظ غريبة في شعره، على الرغم من أنه «نشأ في بادية منبج، وكان يعتمد حذف الغريب والوحشي من شعره ليقربه على فهم من يمدحه، إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها، ويرى في ذلك أنفق له، فنفق، وبلغ المراد والغرض، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا

فيها وتداخل الثقافات وتنوعها، ولهذا برزت الثنائية النقدية المعروفة بـ(الطبع والصنعة)، بوصفها انعكاساً أو تجلياً لصراع أو توتر بين فضاءين ثقافيين مختلفين هما فضاء البادية وفضاء الحضر. وقد ساعد الفضاء الصحراوي على ترسيخ مفهوم الطبع، لأن الحياة في هذا الفضاء تقوم على الإيجاز والمباشرة والعفوية في التعبير، ومن هنا أصبح الأعرابي في نظر كثير من النقاد العرب القدامي النموذج الأقرب إلى سلامة الطبع، وهذا نابع من عيشه في فضاء جغرافي ثقافي ظلّ محتفظاً بخصائصه الصافية، بعيداً عن التعقيد الحضري والاختلاط الثقافي.

ولهذا وجد الجاحظ (ت 255هـ) أن «من تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً»⁽⁴⁶⁾، وعلى هذا الأساس ميّز الجاحظ بين الشاعر الأعرابي والشاعر المولّد حين قال: «إن الفرق بين المولّد والأعرابي: أن المولّد يقول بنشاطه وجمع باله، الأبيات اللاحقة بأشعار أهل البدو، فإذا أمعن انحلت قواه، واضطرب كلامه»⁽⁴⁷⁾، وهذا التمييز بين شاعر بدوي يقول بفطرته وعفويته وشاعر مولّد يميل إلى الصنعة والتأنق والتفنن في الصياغة، يشير إلى أن لكل فضاء ثقافي شعراءه، إذ إن تقمّص الشاعر المولّد لباس الشاعر البدوي ليس بالأمر اليسير، فالمولّد من وجهة نظر الجاحظ يمثل إنساناً منتقلاً من فضاء الفطرة إلى فضاء



وهذا الأمر هو ما يؤكد القاضي الجرجاني بأن الذي حصل بعد مجيء الإسلام واختيار الناس من الكلام أسهله وألينه، فإنهم بعد ذلك ((تجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى سمحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركافة والعجمة، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة، وتغيّر الرسم، وانتسخت هذه السنة، واحتذوا بشعرهم هذا المثال، وترققوا ما أمكن، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ))⁽⁵²⁾.

ومن هنا، يمكن فهم اختلاف أحكام النقاد وآراء المتلقين في بعض الشعراء؛ لأن الفضاءات الجغرافية التي ينتمي إليها النقاد أو المتلقون أنفسهم كانت مختلفة، فهي تؤثر في طبيعة استجاباتهم للنصوص، فالبدوي الذي ألف خشونة الصحراء يميل إلى الجزالة وقوة اللفظ والمباشرة، أما الحضري الذي تشكّل في فضاء الاستقرار واختلاط الثقافات فيميل إلى الرقة والسهولة والتأنق.

وفي هذا الشأن، ينقل ابن سلام الجمحي (ت 231هـ) عن يونس بن حبيب قوله بأن ((أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى))⁽⁵³⁾، وسبب تفضيلهم؛ ((لأن شعره يلائم أهواءهم ومزاجهم الرقيق؛ فالتحضر في شعر الأعشى أكثر منه في شعر أصحابه، والأغراض التي خاض بها تتصل كثيراً باللهو، وعباراته لينّة، وبحوره موسيقية، وكل هذا كان من طبع الكوفيين؛ فقد كانوا على كثب من مواطن

عبادة، ولما دخل العراق تكلّى بأبي الحسن؛ ليزيل العنجهية والأعرابية، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة))⁽⁵⁰⁾.

ولا يبتعد ابن طباطبا عن هذا الرأي عندما يتحدث عن الشعر المحدث، إذ يقول: ((والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يغربون من معانيهم، وبلغ ما ينظمونه من ألفاظهم، ومضحك ما يوردونه من نوادرهم، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم، دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح والهجاء وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها.. وأشعارهم متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه))⁽⁵¹⁾.

وتكشف هذه الأحكام النقدية أن النقاد العرب القدامى لم ينظروا إلى الشعر بوصفه نتاجاً مستقلاً عن الفضاء المحيط به، وإنما بوصفه جزءاً من الحياة الثقافية التي تتغير تبعاً لتغير الفضاءات الجغرافية، فانتقال العرب من البادية إلى الحاضرة لم يكن انتقالاً مكانياً فحسب، بل كان انتقالاً لغوياً وذوقياً أيضاً، فالمتلقي العربي أصبح أكثر ميلاً إلى ما ينسجم مع إيقاع الحياة الجديدة، وما يفرضه الفضاء الثقافي الجديد من رقة ومرونة في التعبير، إذ تغيّرت طبيعة الألفاظ المستحسنة، وتبدلت طرائق التلقي.



لم يقتصر أثر الفضاء الجغرافي في النقد العربي القديم على تشكيل الذائقة العربية أو توجيه طرائق التلقي، بل تجاوز ذلك إلى بناء المرجعيات النقدية نفسها، فبعض الفضاءات قد تحول مع مرور الزمن - إلى رموز ثقافية يشير إلى الأصالة والفصاحة والنقاء والشرعية الأدبية، مثل فضاء القديم الذي يتمثل بالبادية، وفضاء الدين، إذ أصبحت هذه الفضاءات تمثل الأصل المعياري والنموذج الأعلى الذي يمكن أن تُقاس إليه سلامة اللغة وصدق التعبير وجودة الشعر.

ومن هنا أصبح الفضاء الجغرافي بنية رمزية توجه الحكم النقدي وتمنحه المرجعية الثقافية والفكرية، ولهذا نجد ارتباط البادية بالأصالة، والقديم بالكمال الفني، في حين يرتبط الدين بالمشروعية الأخلاقية، حتى غدت هذه الفضاءات سلطة رمزية تتحكم في كثير من الأحكام النقدية العربية القديمة، ويمكن تناول هذه الفضاءات من خلال عدد من المفاهيم منها مفهوم القديم والمحدث، فقد تبين من خلال المحور الأول ما للبادية من رمزية كبيرة بوصفها الفضاء الجغرافي الذي حافظ على نقاء اللغة العربية بعيداً عن الاختلاط الثقافي والحضاري الذي عرفته فضاءات الحواضر، لذا كان كثير من النقاد العرب القديم يستند في أحكامه إلى رمزية البادية، فالقرب من البادية يعني القرب من النموذج العربي الصحيح، ومن هنا أصبح الأعرابي رمزاً

حضارات قديمة؛ وكثير منهم كان عابثاً ماجناً يرى في شعر الأعشى لذته وامتعه⁽⁵⁴⁾، وفي المقابل من ذلك فإن (أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً)⁽⁵⁵⁾، ويبدو أن سبب هذا التفضيل لأن زهيراً (لم ير غير البادية، ولم يتقلب في البلاد تقلب الأعشى، فأصبح في الصياغة وفي المعاني، وفي الأغراض الشعرية، وفي الحركة الذهنية شاعراً بدوياً محضاً يرضي أهل البادية)⁽⁵⁶⁾.

وبهذا يتضح أن الفضاء الثقافي أسهم بشكل كبير في بناء الذائقة النقدية العربية القديمة، إذ إن مفاهيم الجودة والفصاحة والجمال لم تكن مفاهيم مطلقة، بل كانت تتشكل في داخل الفضاءات الثقافية المتباينة بدوياً وحضرياً، وتخضع لتحولات الذائقة العربية تبعاً لانتقال المجتمع العربي من فضاء الصحراء إلى فضاء الحاضرة، وهو ما يكشف عن الحضور العميق للجغرافيا في بنية الوعي النقدي العربي القديم، إذ إن كل ناقد كان يرى النص من داخل منظومة ذوقية تشكّلت بفعل ثقافته وبيئته وطريقة تلقيه، ولهذا لم تكن الأحكام النقدية قائمة على النص وحده، بل على العلاقة القائمة بين النص والمتلقي والفضاء الثقافي الذي يجمعهما.

المحور الثاني: الفضاء الرمزي وأثره في تشكيل المرجعيات النقدية



استطاع أحد من المتحضرين فهو في الغالب رجل أقرب إلى الفطرة منه إلى المدنية العقلية المعقدة⁽⁵⁷⁾.

ومن هذا الفضاء الجغرافي الرمزي تشكّلت كثير من المفاهيم النقدية التي دارت حول مركزية النموذج القديم، مثل الاحتجاج بالأوائل واتباع سنن العرب والمحافظة على طرائق القدماء وعمود الشعر، فكان كثير من النقاد يقيس جودة الشعر بمدى اقترابه أو ابتعاده من الأساليب الشعرية التي رَسَخها الشعراء الأوائل، بوصفها تمثيلاً للنموذج العربي الأمثل، وليس بوصفها تجارب فردية فحسب، فالخروج عن هذا النموذج يُعد خروجاً عن المرجعية الثقافية التي تأسس عليها الشعر العربي نفسه، ولهذا فإن الصراع المحتدم بين القدماء والمحدثين لا يُنظر إليه بوصفه خلافاً فنياً خالصاً، وإنما بوصفه صراعاً بين فضاءين رمزيين، فضاء قديم بما يمثله من مرجعية لغوية معيارية، وفضاء مُحدث بما يحمله من تحولات ثقافية وحضارية.

ويبدو أثر الفضاء الرمزي أكثر وضوحاً في موقف النقاد من الشعراء المحدثين، إذ لم يكن اعتراضهم على أشعارهم نابعاً -في كثير من الأحيان- من ضعف فني في هذه الأشعار، وإنما من شعور بأن هؤلاء الشعراء قد ابتعدوا عن النموذج الذي شكّله أو أوجده الفضاء الرمزي المتمثل بالقديم، ولهذا كثيراً ما ارتبطت أحكام النقاد بمدى

للفطرة اللغوية سواء كان من عامة الناس أو أديباً، فقيّمته في الوعي النقدي تكمن في امتداده الحي للعربية الأولى، فكلام الأعرابي حجة، حتى وإن لم يكن أكثر ثقافة أو علماً من غيره من سكان الحواضر، فالنقاد يرون كلامه أقرب إلى الأصالة والسلامة والفصاحة من كلام أهل الحاضرة.

أما القديم، فلم يكن النقاد العرب القدامى ينظرون إليه بوصفه زمناً سابقاً أو مرحلة تاريخية منقضية، بل تحول هذا القديم إلى فضاء جغرافي رمزي يحتكم إليه النقاد في تقويم أشعار الشعراء والحكم على جودته، حتى أصبح القَدَمُ معياراً ضمناً من معايير الجودة الفنية، وقد نشأ هذا التصور تجاه القديم نتيجة للمكانة التي حظي بها الشعر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي في الوعي النقدي العربي، ويعزز هذا الرأي ما ذهب إليه الدكتور محمد مندور بقوله: «من الواضح لكل ذي بصر بالشعر أن الشعر العربي -أعني الشعر الجاهلي والأموي- خير من الشعر العباسي وما تلاه إلى يومنا هذا، ولقد يكون في طبيعة الشعر ذاته ما يفسر هذه الحقيقة التي لا تقتصر على الشعر العربي، بل تصدق على أشعار الأمم كافة، فمن الثابت لدى معظم النقاد أن خير أشعار الشعوب هو ما قالته أيام بداوتها الأولى، حتى ليخيل إلينا أن الشعر الجيد لا تستطيعه إلا النفوس الوحشية الغفل القوية، وإذا



يكون السبب وراء هذه العناية الشديدة بشعر الأوائل هو ما ذكره ابن رشيقي (ت 456هـ)، إذ يقول: «هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه: كالأصمعي وابن الأعرابي - أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم - وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد»⁽⁶¹⁾، فنقاء اللغة وصفائها وسلامتها في العصر الجاهلي كان سبباً وجيهاً لأبي عمرو بأن «لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين»⁽⁶²⁾.

وهذا الأمر هو ما يوضح موقف الأصمعي (ت 216هـ) تجاه الشعر المحدث، إذ «سأل أبو حاتم، الأصمعي عن جرير والفرزدق والأخطل فقال: هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون»⁽⁶³⁾، وفي شاهد آخر يبين هذا الموقف بوضوح أنه «حُكي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشدت الأصمعي:

هَلْ إِلَى نَظَرٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ

فِيْبَلِّ الصدى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَخْتَرُ عِنْدِي

وَكثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال: والله هذا الديباج الخسرواني، لمن تتشدني؟ فقلت: إنهما ليلتتهما فقال: لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر»⁽⁶⁴⁾، فالأصمعي يُدرك أن كل فضاء جغرافي ينتج شعراً يتلاءم مع الظروف

محافظته الشاعر على أساليب العرب القدماء وطرائقهم في التعبير ولغتهم المألوفة وبنية قصائدهم، حتى غدت مخالفة النموذج القديم خروجاً عن الذوق العربي نفسه، وليس مجرد اختلاف أسلوب، إذ يقول أبو حاتم «سألت الأصمعي من أشعر: الراعي أم ابن مقبل؟ قال: ما أقربهما! قلت: لا يقنعنا هذا. قال الراعي أشبه شعراً بالقديم وبالأول»⁽⁵⁸⁾، فعلى الرغم من التقارب الأسلوبي بين شعري الراعي وابن مقبل إلا أن سبب تقديم الراعي هو تشابه شعره مع شعر الأقدمين، أي أن معيار الجودة لم يبن على ما في شعريهما بصورة خالصة، وإنما على مقدار اقتراب شعر الراعي من الفضاء الرمزي الذي يمثله القديم وابتعاد شعر ابن مقبل عنه، وبهذا أصبح التشابه مع الشعر القديم والأوائل قيمة نقدية بحد ذاتها.

وقد نُقِلَ عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوماً واحداً ما قدّمت عليه جاهلياً ولا إسلامياً»⁽⁵⁹⁾، فهذا الحكم النقدي يكشف أن مجرد اتصال الشاعر بالفضاء الجاهلي كان كافياً لمنحه منزلة رمزية تتجاوز قيمته الفنية التي يستحقها في فضائه الواقعي، فقول أبي عمرو هذا «إن دل على شيء، فإنما يدل على إحساسه بأن شعر الأخطل، قد وصل في نضجه الفني، إلى مستوى الشعر الجاهلي، وليس هناك ما يشينه في رأيه سوى عصره أو زمنه»⁽⁶⁰⁾، وربما



ازداد طيباً⁽⁶⁶⁾، فالفضاء القديم هنا لا يمثل مدة زمنية منقضية، بل قيمة رمزية مرتبطة بالرسوخ والثبات ودوام الجودة، في حين ارتبط الفضاء المحدث بعدم الثبات وزوال الجودة وعدم الرسوخ، ولهذا حين ((أنشده رجل شعراً لأبي نواس أحسن فيه، فسكت. فقال له الرجل: أما هذا من أحسن الشعر؟ قال: فقال: بلى. ولكن القديم أحب إلي⁽⁶⁷⁾))، فعلى الرغم من اعتراف ابن الأعرابي بالجودة الفنية التي كان يحملها شعر أبي نواس إلا أنه بقي منحازاً إلى المرجعية الرمزية التي يمثلها الفضاء القديم.

غير أن هذه المرجعية الرمزية لم تكن مطلقة عند النقاد العرب جميعاً، فهناك من كان يرى أن لكلا الفضاءين الجغرافيين القديم والمحدث جودة تتناسب مع طبيعة الفضاء، ومن هؤلاء النقاد ابن قتيبة (ت 276هـ)، إذ يقول: ((لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره [...] فكل من أتى بحسنٍ من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه⁽⁶⁸⁾)).

المحيطة به، فعندما أُخبر بأن هذين البيتين هما من نتاج الفضاء الجغرافي القديم أُعجب بهما لأنه وجدتهما يشبهان أشعار ذلك الفضاء، ولكن عندما علم بأنهما من نتاج الفضاء المحدث تكشّف له مدى التكلّف الذي عاناه الشاعر فيهما ليبرزاً على هذا النحو المشابه للقديم، والأمر نفسه نجده عند ابن الأعرابي إذ كان ((يأمر بكتب جميع ما يجري في مجلسه.. قال فأنشده رجل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب على أنها لبعض العرب:

سَارِيَّةٌ لَمْ تَكْتَحِلْ بِغَمُضِ

كَدَرَاءَ ذَاتِ هَطْلَانٍ مَحْضِ

مُوقَرَّةٌ مِنْ خُلَّةٍ وَحَمُضِ

تَمْضِي وَتُبْقَى نِعْمًا لَا تَمْضِي

قَضَتْ بِهَا السَّمَاءُ حَقَّ الْأَرْضِ

فقال ابن الأعرابي اكتبوها.. فلما كتبوها قيل له إنها لحبيب بن أوس.. فقال خرّق خرّق، لا جرم إن أثر الصنعة فيها بين⁽⁶⁵⁾))، وهذا التكلّف والصنعة من وجهة نظر كلّ من الأصمعي وابن الأعرابي لا يصدر إلا من فضاءات الحواضر، ففضاء البادية كما مرّ نقي وعفوي ومباشر.

ومن هنا جاءت الصورة التي رسمها ابن الأعرابي حين قارن بين أشعار القدماء والمحدثين، إذ قال: ((أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره - مثل الريحان يُشَمُّ يوماً ويذوي فيُرمَى به؛ وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حرّكته



فضلاً عن كل ما سبق، فإن من المسلمات في علم الجغرافيا أن للدين أو المعتقد أثراً كبيراً (في حياة السكان وقد يبرز هذا الأثر في علاقاتهم الاجتماعية وفعاليتهم الاقتصادية وعاداتهم التي تنتقل من جيل لآخر، وقد ترتبط بالدين في أقطار معينة بالعالم أنواع معينة منها الملابس أو استهلاك أطعمة خاصة، أو سلوك معين)⁽⁷⁰⁾، لذا فإن ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية قد خلق فضاء جغرافياً جديداً يستمد مشروعيته من القيم والمعايير والتصورات الأخلاقية التي منحها الدين الإسلامي سلطة رمزية واسعة في داخل الفضاء الثقافي العربي في ذلك الحين، إذ أحدث الإسلام (في حياة العرب ثورة روحية ومادية كانت لها آثارها البعيدة في كل مظاهر نشاطهم)⁽⁷¹⁾.

ولم تتوقف هذه الثورة عند هذا الحد؛ بل امتدت إلى أن الإسلام أعاد تشكيل كثير من الأحكام النقدية الأدبية التي كانت شائعة في العصر الجاهلي، فالشعر لم يعد يُنظر إليه بوصفه فناً مستقلاً، بل بوصفه خطاباً لا بد أن ينسجم مع الفضاء الديني الجديد ولا يبتعد عنه، وأن يلتزم الشاعر فيه بالصدق والاعتدال والعفة والابتعاد عن المجون، ومن هنا تغيرت طريقة النظر إلى النصوص الشعرية، إذ لم يعد التفاضل فيما بينها قائماً على القوة اللغوية أو الفنية فحسب، بل أصبح التفاضل متصلاً بطبيعة المعاني التي تحملها هذه

ويكشف هذا الموقف أن ابن قتيبة قد أعطى كل فضاء جغرافي حقه، فالبيئة الاجتماعية والثقافية والفكرية فضلاً عن السياسية ليست بالضرورة أن تتشابه بين فضاءين مكانيين أو حتى زمانيين، فالجودة بحسب هذا الموقف ليست حكراً على الأوائل، لا بل -في بعض الأحيان- قد يكون شعر المحدثين أكثر جودة من شعر الأوائل، وهو ما يراه الصولي (ت 355هـ)، إذ يقول: إن (المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين، وينتجعون كلامهم، وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده. وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها، ومعاني أومأوا إليها، فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان، والناس له أكثر استمعاً في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم)⁽⁶⁹⁾، فالأذواق لم تعد تتلاءم مع ما كان سائداً في الفضاء القديم، بحسب المعطيات الجديدة في الفضاء المحدث من حيث الاختلاط الثقافي والحضاري والتحضر أكثر من ذي قبل، ولهذا لم يعد كثير من المجتمع العربي أو النقاد تستجيبون للوحشي والغريب بالطريقة نفسها التي استجاب بها القدماء، فالمتلقي الذي عاش متنقلاً بين البوادي الشاسعة في ظروف مناخية قاسية وخشونة معيشية غير المتلقي الذي يعيش في بيئة حضرية تنسم بالاستقرار وتنوع العلاقات والانفتاح الثقافي.



في عزة النفس والصبر على الجوع والنأي عن
الديني من الطعام، فعلى الرغم من أن عنترة لم
يُدرِك الإسلام إلا أنه جاء في هذا البيت بقيم تنتمي
إلى الفضاء الديني، وهو ما أعجب النبي (ص)
فأشاد به.

غير أن الفضاء الديني لم يكتفِ بالاستحسان،
إذ مارس في شواهد كثيرة وظيفة تصحيحية حين
يجد أن المعنى الشعري قد انحرف عن المرجعية
الجديدة، ومن هذه الشواهد ما يروى عن النبي
(ص) أنه ((خرج على كعب وهو في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يُنشد، فلما رآه كأنه انقبض،
فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنتُ أنشد. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنشد، فأنشد حتى
أتى على قوله:

مُقَاتِلُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فَحْمَةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقل عن
جذمننا، ولكن قل: مُقَاتِلُنَا عَنْ دِينِنَا))⁽⁷⁴⁾، فهذا النص
غاية في الأهمية؛ لأنه يكشف كيف تحوّل الفضاء
الديني إلى مرجعية نقدية أخذت على عاتقها
تصحيح مسار الأدب من وجهة نظر الدين
الإسلامي، حتى وإن بلغ الأمر إلى تغيير الألفاظ
التي لا تتناسب مع ما وضع حدوده الفضاء الديني،
واستمر هذا التصحيح حتى بعد انتهاء عصر
النبوة، فكثير من الخلفاء والتابعين صحّح للشعراء
أشعارهم بناءً على ما ينسجم مع هذا الفضاء، ومن

النصوص ومدى انسجامها مع الفضاء الجديد الذي
خلقه الدين الإسلامي، وقد وصلت هذه الثورة إلى
أن توضع أحكام نقدية خاصة بالمدح، إذ كان
((السلطة الإسلامية في حالتها أثرها الخاص، سواء
في حالة كونها قريبة من الروحية البدوية
والديمقراطية الإسلامية أم في حالة كونها سلطة
متأثرة بتقاليد الحكم التي تركها وراءه كسرى أو
قيصر، ويتضح هذا في النقد الذي أصدره الخلفاء
والأمراء في العصر الأموي والعصر العباسي
فاقتبسه علماء النقد وأخذوا منه ما يريدون، ووضعوا
على غرار الأحكام والمقاييس الفنية الخاصة بمدح
المسؤولين وذوي الاعتبار السياسي والاجتماعي،
وإذا تأملنا في مراجع النقد الأدبي في القرن الثالث
تمكنا أن نلمح محاولة طاغية هي محاولة تحويل
النقد الأدبي إلى علم له أركانه الثابتة وحدوده
الظاهرة))⁽⁷²⁾.

ومن الشواهد التي تُبرز أثر الفضاء الرمزي
الديني في توجيه الأحكام النقدية ما يروى عن النبي
(ص) أنه أنشد ((قول عنترة:
ولقد أبيت على الطوى وأظله

حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ

فقال صلى الله عليه وسلم: "ما وُصف لي أعرابي
قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عنترة))⁽⁷³⁾، فهذا الحكم
النقدي لا يقوم على جمال البيت من ناحية فنية
فحسب، بل على ما يتضمنه من قيم أخلاقية تتمثل



للمديح القائم على التشبيهات المألوفة مثل التشبيه بالأسد والبحر والجبل؛ لأنه وجد أنها تشبيهات عامة تصلح لأي ملك أو أمير أو إنسان، ولكنها لا تتسجم مع مكانته بوصفه خليفة للمسلمين، فأمرهم أن يستندوا في مديحهم إلى رموز تنتمي للفضاء الديني مثل الصوم والصلاة وقراءة القرآن وغيرها من القيم التعبدية والأخلاقية التي تُعد أرفع منزلة من القيم التي اعتادها الشعراء في المدح.

ومن خلال هذه النصوص وغيرها مما يندرج تحت الفضاء الديني يتضح أن هذا الفضاء له أثر كبير ودور مركزي في تشكّل الأحكام النقدية العربية القديمة؛ فالشعر من وجهة نظر نقاده هو ما حمل قيمة دينية أو معنى أخلاقياً أو حكمة صادقة، فمتى ما وجدوه أسير العصبية القبلية أو محكوماً بالقيم المادية أو متجاوزاً للحدود العقدية صححوا مساره، وبذلك لم يكن الدين عنصراً خارجياً عن النقد الأدبي، بل كان فضاءً رمزياً يشكّل الأحكام النقدية، ويعيد بناء مقاييس القبول والرفض في داخل الثقافة العربية والإسلامية.

الخاتمة

تبين من خلال البحث أن الفضاءات الجغرافية أسهمت بشكل كبير في تشكّل كثير من الأحكام النقدية العربية القديمة، لا بوصف هذه الفضاءات أمكنة مادية محايدة فحسب، وإنما بوصفها حواضن

شواهد ذلك ما ورد عن سُحيم عبد بني الحسحاس أنه أنشد الخليفة عمر بن الخطاب (قصيدته التي يقول أولها:

عُمَيْرَةٌ وَدَعَّ إِن تَجَهَّزْتُ غَادِيَا

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقال له عمر: لو قَدِّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ (لَأَجْزُتُكَ))⁽⁷⁵⁾، فهذا النص يكشف كيف أن المرجعية الدينية وجَّهت الشاعر بضرورة ترتيب القيم في داخل البيت الشعري على وفق سُلَّم القيم الإسلامي، فالشيب -هنا- ناهٍ طبيعي، في حين أن الإسلام ناهٍ شرعي وأخلاقي، ومن ثم فهو أولى بالتقديم في ضوء معطيات الفضاء الجديد.

ويظهر هذا التأثير نفسه في قول (عبد الملك يوماً وقد اجتمع الشعراء عنده: تشبَّهوننا بالأسد والأسد أبخر، وبالبحر وأجاج، وبالجبل مرةً والجبل أوعر، ألا قلت كما قال أيمن بن خُرَيْم بن فاتك لبني هاشم:

نَهَارُكُمْ مُكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ

وَلَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَأَقْتِرَاءُ

أَجْعَلُكُمْ وَأَقْوَامًا سَوَاءً

وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ هَوَاءُ

وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجُلُكُمْ وَأَنْتُمْ

لَأَعْيُنُهُمْ وَأَرْؤُسُهُمْ سَمَاءُ))⁽⁷⁶⁾

فعبد الملك أراد توجيه الشعراء إلى أهمية إعادة بناء بلاغة المدح على وفق الفضاء الديني، فرفضه



ثقافية ورمزية أنتجت أنماطاً مختلفة من التلقي والتقويم النقدي، إذ إن الذائقة العربية القديمة بشكل عام ولا سيما الأحكام النقدية لم تكن نتاجاً معزولاً عن الفضاءات الجغرافية التي تشكّلت في داخلها، بل ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبيئات العربية القديمة سواءً البيئات الحضرية أم البدوية أو الأزمان الماضية أم المحدثّة أو قبل مجيء الإسلام أم بعد مجيئه، وما يتولّد في هذه البيئات من اختلاف في الذائقة النقدية، ولهذا فإن الأحكام النقدية العربية القديمة لم تصدر عن فنية النص وأسلوبيته فحسب، وإنما جاءت -في كثير من الأحيان- بوصفها انعكاساً لمنظومة ثقافية تشكّلت في داخل فضاء جغرافي مخصوص، وهذا الفضاء هو الذي أسهم في تحديد المفاهيم النقدية ورسم حدود المقبول من الشعر والمرفوض منه.

ولا يذهب هذا البحث إلى ردّ الأحكام النقدية العربية القديمة ردّاً حتمياً إلى العامل الجغرافي؛ وإنما يوضح أن الفضاء الجغرافي كان أحد العوامل المؤثرة التي أسهمت في بناء الوعي النقدي العربي وتوجيه أحكامه، ومن ثم فإن قراءة الموروث النقدي العربي القديم من زاوية الفضاءات الجغرافية أتاحت فهماً أعمق للعلاقة الرابطة بين البيئة الثقافية والرمزية من جهة وبين تشكّل الأحكام النقدية من جهة أخرى.

الهوامش

- 1- لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، طبعة مصححة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م، ج10، مادة (فضا).
- 2- فقه اللغة وأسرار العربية، الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي (ت 430هـ)، ضبط وتقديم: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000م: 313.
- 3- الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي - رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، بلسم محمد الشيباني، منشورات تنمية الإبداع الثقافي، بنغازي، ط1، 2004م: 18.
- 4- ينظر: المفهوم الحديث للمكان والزمان، ب. س. ديفيز، ترجمة: د. السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، 1996م: 9-10.
- 5- ينظر: الفضاء المسرحي بين النص الاجتماعي والاقتصاد الدرامي، د. أكرم اليوسف، دار مؤسسة رسلان، دمشق، ط1، 2010م: 25.
- 6- ينظر: قال الراوي - البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م: 240.
- 7- ينظر: سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغزنائي، كمال بولعسل، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006م: 10.
- 8- ينظر: شعرية الفضاء - المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م: 32.
- 9- ينظر: إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، نصيرة زوزو، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير - بسكرة، الجزائر، 2010م: 3.
- 10- ينظر: شعرية الفضاء - المتخيل والهوية في الرواية العربية: 32-33.
- 11- ينظر: الفضاء في الرواية العربية الجديدة - مخلوقات الأشواق الطائفة لإدوارد الخراط نموذجاً، حورية الظل، دار نينوى، دمشق، (د. ط)، 2011م: 27.
- 12- ينظر: الفضاء المسرحي بين النص الاجتماعي والاقتصاد الدرامي: 31.
- 13- فلسفة علم المكان (الجغرافيا)، محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء، عمان، ط1، 2005م: 68-69.
- 14- جغرافية السكان - أسس وتطبيقات، فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1993م: 22.
- 15- ينظر: الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في الجغرافيا الاجتماعية وعلاقتها بجغرافية السكان في الفترة من 1995-2017م، ياسر عبد العظيم عبد الموجود سمك وعزيرة محمد علي بدر، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، المجلد 31، العدد 31، ج2، 2025م: 217-250.

- 16- الفضاء في الرواية العربية الجديدة- مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوارد الخراط نموذجًا: 27.
- 17- ينظر: الجغرافية المعاصرة: أثر التغيرات العالمية على الفضاءات الجغرافية، مزكين محمد حسن عبو، مجلة مداد الآداب، العدد: 40، (د. ت): 2023- 2054.
- 18- ينظر: المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغرب- حفريات في أدب الرحلة- القرن 16، عادل النفاتي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2016م: 15.
- 19- ينظر: فلسفة المكان في الفكر الجغرافي، محمد أحمد السامرائي، دار صفاء، عمان، ط1، 2015م: 106.
- 20- ينظر: الإنسان وقضايا البيئة، ضاري ناصر العجمي وعبد المنعم مصطفى، مطابع الخط، الكويت، ط1، 1995م: 6.
- 21- فلسفة المكان في الفكر الجغرافي: 111.
- 22- ينظر: الإنسان وقضايا البيئة: 6.
- 23- ينظر: فلسفة المكان في الفكر الجغرافي: 114.
- 24- ينظر: شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان، جمال حمدان، دار الهلال، القاهرة، 1994م: 32 / 1.
- 25- الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، محمد محمود محمدين، دار الخريجي، الرياض، ط2، 1996م: 44.
- 26- ينظر: شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان: 33 / 1.
- 27- ينظر: الجغرافية الثقافية- أهمية الجغرافية في تفسير الظواهر الإنسانية، مايك كراتغ، ترجمة: د. سعيد منتاق، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 2005م: 3.
- 28- ينظر: النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005م: 23- 24.
- 29- ينظر: م. ن: 57- 58.
- 30- ينظر: تكوين العقل العربي، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 2002م: 31- 32.
- 31- التحضر في الوطن العربي- الأقطار الأفريقية، محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، 1980م: 2 / 66.
- 32- الأدب العربي والبيئة، عبد الرحمن حميد ثامر، مجلة كلية المعارف الجامعة، العراق، العدد: 29، 2019م: 273- 291.
- 33- ينظر: الإنسان والبيئة، لويس اسكندر، مطبوعات مكتبة النهضة العربية، القاهرة، (د. ط)، 1936م: 10- 11.
- 34- إطلالة على العلاقة بين الهوية والثقافة مع التركيز على الهوية الدينية، عبد الهادي صالح زاده وسيد محمد حسين ميري، مجلة آداب الكوفة، العدد: 52، 2022م: 119- 140.
- 35- ينظر: مفهوم البداوة- قراءة تاريخية من خلال مقدمة ابن خلدون، علي العبيدي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011م: 269- 278.
- 36- في جغرافية الحضر- منظور معاصر، حمدي أحمد الديب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د. ت): 62.
- 37- ينظر: التحضر - دراسة اجتماعية، محمود الكردي، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ط1، 1984م: 99.
- 38- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م: 220.
- 39- الوساطة بين المتبني وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (د. ت): 18. والحديث النبوي في: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1353هـ)، أشرف على مراجعة أصوله

- وتصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، القاهرة، (د).
ط، (د. ت): 6 / 532، بصيغة (من سكن البادية جفا).
40- الوساطة بين المتنبي وخصومه: 18.
41- عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت 322هـ)،
شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت،
ط2، 2005م: 12.
42- ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي،
دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، 1996م: 123.
43- ينظر: الصنعة الفنية في التراث النقدي، د. حسن البنداري،
مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2000م: 47.
44- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبو عبد الله محمد بن
عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق وتقديم: محمد
حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م:
394.
45- في علم السكان - مباحث في المورفولوجية الاجتماعية، عبد
الكريم اليافي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، (د. ط)، 1951م:
70.
46- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت
255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة
الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م: 1 / 94.
47- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)،
تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى
الحلي وأولاده، مصر، ط2، 1965م: 3 / 132.
48- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن
بشر الأمدي (ت 370هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف،
مصر، ط4، 1992م: 1 / 27.
49- الوساطة بين المتنبي وخصومه: 29.
50- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: 1 / 26.
51- عيار الشعر: 15.
52- الوساطة بين المتنبي وخصومه: 18 - 19.
53 - طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ)،
قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط2،
1974م: 1 / 52.
54- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن
الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، المكتبة الفيصلية، مكة
المكرمة، (د. ط)، 2004م: 77.
55 - طبقات فحول الشعراء: 1 / 52.
56- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن
الرابع الهجري: 77.
57- النقد المنهجي عند العرب، د. محمد مندور، دار نهضة
مصر، القاهرة، (د. ط)، 1996م: 24.
58- كتاب فحولة الشعراء، الأصمعي، تحقيق: ش. توري، دار
الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1980م: 12.
59 - م. ن: 13.
60 - الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم -
تاريخها وقضاياها، د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية،
الاسكندرية، ط2، 2000م: 17.
61 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن
رشيق القيرواني (ت 456هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه:
محمد محيي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م:
1 / 90.
62 - م. ن: 1 / 90.
63 - كتاب فحولة الشعراء: 12.
64 - الوساطة بين المتنبي وخصومه: 50. والبيتان سمع بعض
الاختلاف - في: إسحق الموصلي، أبو فرج الأصبهاني، مكتبة
صادر، بيروت، (د. ط)، 1951م: 78.

- 65 - كتاب الصناعتين- الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989م: 56، والأبيات في: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1983م: 4 / 467.
- 66 - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء: 313.
- 67 - م. ن: 313.
- 68 - الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت): 1 / 63.
- 69 - أخبار أبي تمام، أبو بكر بن يحيى الصولي (ت 355هـ)، تحقيق: خليل عسكر وآخرون، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م: 17.
- 70 - جغرافية السكان- أسس عامة، عبد علي الخفاف، دار الفكر، عمان، ط2، 2007م: 242.
- 71 - النقد المنهجي عند العرب: 12.
- 72 - نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. جميل سعيد ود. داود سلوم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (د. ط)، 1986م: 13.
- 73 - كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1959م: 8 / 243.
- والبيت في: شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م: 127.
- 74 - كتاب الأغاني: 16 / 232 - 233. والبيت -مع بعض الاختلاف- في: ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق، سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1966م: 323.

- البيان والتبيين: 1 / 71 - 72. والبيت في: ديوان سُحيم عبد بني الحساس، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ط)، 1950م: 16.
- 76 - المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382هـ)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1984م: 62-63. والأبيات -مع بعض الاختلاف- في: ديوان أيمن بن خريم، صنعة وتحقيق: الطيب العشاش، مؤسسة المواهب، بيروت، ط1، 1999م: 23.

المصادر المراجع

- 1) الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في الجغرافيا الاجتماعية وعلاقتها بجغرافية السكان في الفترة من 1995 - 2017م، ياسر عبد العظيم عبد الموجود سمك وعزيزة محمد علي بدر، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، المجلد 31، العدد 31، ج2، 2025م.
- 2) أخبار أبي تمام، أبو بكر بن يحيى الصولي (ت 355هـ)، تحقيق: خليل عسكر وآخرون، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م.
- 3) الأدب العربي والبيئة، عبد الرحمن حميد ثامر، مجلة كلية المعارف الجامعة، العراق، العدد: 29، 2019م.
- 4) إسحق الموصلي، أبو فرج الأصبهاني، مكتبة صادر، بيروت، (د. ط)، 1951م.
- 5) أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، 1996م.
- 6) إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، نصيرة زوزو، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير - بسكرة، الجزائر، 2010م.



- (7) إطلالة على العلاقة بين الهوية والثقافة مع التركيز على الهوية الدينية، عبد الهادي صالح زاده وسيد محمد حسين ميري، مجلة آداب الكوفة، العدد: 52، 2022م.
- (8) الإنسان والبيئة، لويس اسكندر، مطبوعات مكتبة النهضة العربية، القاهرة، (د. ط)، 1936م.
- (9) الإنسان وقضايا البيئة، ضاري ناصر العجمي وعبد المنعم مصطفى، مطابع الخط، الكويت، ط1، 1995م.
- (10) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م.
- (11) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (د. ط)، 2004م.
- (12) التحضر - دراسة اجتماعية، محمود الكردي، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ط1، 1984م.
- (13) التحضر في الوطن العربي - الأقطار الأفريقية، محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، 1980م.
- (14) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت 1353هـ)، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- (15) تكوين العقل العربي، الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط8، 2002م.
- (16) الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، محمد محمود محمدين، دار الخريجي، الرياض، ط2، 1996م.
- (17) الجغرافية الثقافية - أهمية الجغرافية في تفسير الظواهر الإنسانية، مايك كراتغ، ترجمة: د. سعيد منتاق، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 2005م.
- (18) جغرافية السكان - أسس عامة، عبد علي الخفاف، دار الفكر، عمان، ط2، 2007م.
- (19) جغرافية السكان - أسس وتطبيقات، فتحي محمد أبو عيانة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1993م.
- (20) الجغرافية المعاصرة: أثر التغيرات العالمية على الفضاءات الجغرافية، مزكين محمد حسن عبو، مجلة مداد الآداب، العدد: 4، (د. ت).
- (21) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965م.
- (22) الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم - تاريخها وقضاياها، د. عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط2، 2000م.
- (23) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1983م.
- (24) ديوان أيمن بن خريم، صنعة وتحقيق: الطيب العشاش، مؤسسة المواهب، بيروت، ط1، 1999م.
- (25) ديوان شحيم عبد بني الحساس، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ط)، 1950م.
- (26) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دراسة وتحقيق، سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1966م.
- (27) سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م.

- (28) سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي، كمال بولعل، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006م.
- (29) شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان، جمال حمدان، دار الهلال، القاهرة، 1994م.
- (30) شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م.
- (31) الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- (32) شعرية الفضاء - المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسن نجمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م.
- (33) الصنعة الفنية في التراث النقدي، د. حسن البنداري، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2000م.
- (34) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط2، 1974م.
- (35) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.
- (36) عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت 322هـ)، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
- (37) الفضاء المسرحي بين النص الاجتماعي والاقتصاد الدرامي، د. أكرم اليوسف، دار مؤسسة رسلان، دمشق، ط1، 2010م.
- (38) فضاء في الرواية العربية الجديدة - مخلوقات الأشواق الطائفة لإدوارد الخراط نموذجاً، حورية الظل، دار نينوى، دمشق، (د. ط)، 2011م.

- (39) الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي - رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني (نموذجاً)، بلسم محمد الشيباني، منشورات تنمية الإبداع الثقافي، بنغازي، ط1، 2004م.
- (40) فقه اللغة وأسرار العربية، الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي (ت 430هـ)، ضبط وتقديم: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000م.
- (41) فلسفة المكان في الفكر الجغرافي، محمد أحمد السامرائي، دار صفاء، عمان، ط1، 2015م.
- (42) فلسفة علم المكان (الجغرافيا)، محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء، عمان، ط1، 2005م.
- (43) في جغرافية الحضر - منظور معاصر، حمدي أحمد الديب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د. ت).
- (44) في علم السكان - مباحث في المورفولوجية الاجتماعية، عبد الكريم اليافي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، (د. ط)، 1951م.
- (45) قال الراوي - البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م.
- (46) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1959م.
- (47) كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989م.
- (48) كتاب فحول الشعراء، الأصمعي، تحقيق: ش. توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1980م.
- (49) لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، طبعة مصححة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م.



- (50) المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغرب- حفريات في أدب الرحلة- القرن 16، عادل النفاتي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، 2016م.
- (51) المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382هـ)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1984م.
- (52) مفهوم البداوة- قراءة تاريخية من خلال مقدمة ابن خلدون، علي العبيدي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011م.
- (53) المفهوم الحديث للمكان والزمان، ب. س. ديفيز، ترجمة: د. السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ط)، 1996م.
- (54) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي (ت 370هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط4، 1992م.

- (55) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
- (56) نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. جميل سعيد ود. داود سلوم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (د. ط)، 1986م.
- (57) النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغزامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005م.
- (58) النقد المنهجي عند العرب، د. محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، 1996م.
- (59) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 366هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).